

2014 0115

قالت هيلاري: كانت تشلسي في السادسة حين اصطحبناها في رحلة إلى إنجلترا، أبدت رغبة شديدة في لقاء الملكة إليزابيث والأميرة ديانا، غير أن ذلك لم يكن سهل الترتيب في تلك الأيام، فأخذناها بدلاً من ذلك إلى معرض يقدم شريطاً مصوراً لتاريخ ملوك بريطانيا العظمى وملكاتهما جميعهم، تابعت تشلسي الشريط باهتمام نحو ساعة كاملة، ثم قالت: «يبدو أن كون المرء ملكة أو ملكاً أمر صعب». الآن أتساءل: من أين خطرت لها تلك الفكرة بالمطلق؟

إبان رئاسة بل، قمنا بزيارة لتصويب العلاقة مع الرئيس الروسي بوريس يلسن، وأقام الزوجان يلسن حفل عشاء على شرفنا، رافقتنا تشلسي إلى السهرة بعد العشاء، وفي صباح اليوم التالي، غادر موكبنا الطويل الكرملين، وعلى نحو ما ومع كل الدهشة، لم يلاحظ أحد أن تشلسي، ومربيته، ووكيل الجهاز السري لم يكونوا معنا.

مع خروج السيارة الأخيرة من الزحام، انتبه الجهاز السري إلى ما كان قد حدث، أحد العناصر هرع إلى سيارة بيضاء قديمة قريبة وتحكم فيها، ليتك تعرفين! إما أن السائق لم يكن يعرف الإنجليزية أو أنه كان ضعيف السمع، إذ

ظل يسأل: ماذا؟ وماذا؟. تعيّن على العنصر تكرر القصة مرات قبل أن تعني شيئاً بالنسبة إلى الروسي، ثم أقحم الأمريكيين في السيارة، ففز هو إليها، وتجاوز الحواجز بسرعة إلى المطار، غير أن المشكلة لم تكن قد انتهت بعد؛ جهاز الأمن الروسي رفض السماح لهم بالدخول، صحيح أنهم تعرفوا إلى تشلسي غير أنهم لم يستطيعوا تصديق أننا كنا فعلاً قد تركناها، أنا أيضاً لم أستطع تصديق ذلك!

وفيما كانوا عاكفين على الخروج من حالة الاضطراب، انقضّ أعضاء فريق تشلسي عليها وعلى حقائبهم وهرعوا كالمجانين إلى الطائرة، لم أكتشف أن ابنتي كانت مفقودة إلى أن رأيت الفريق متسلقاً سلم الطائرة، صرخت: «يا إلهي! كدنا نفقد تشلسي! هل تصدقين؟ كدنا نفقد تشلسي. أقسم على أنني لن أتركها تتعد عني ثانية أبداً» وعانقتها، على امتداد الجزء الباقي من الرحلة.

كنا شديدي الوله بتشلسي إلى درجة أننا تحدثنا، حتى وأنا في التاسعة والأربعين من العمر، عن إنجاب طفل آخر؛ صرحت لأحد مراسلي التاييم مثيرة دهشته، أننا كنا نفكر بإنجاب أخ أو أخت لتشلسي، فنظر إلي غير مصدق وتساءل عما إذا كنا نخطط لإنجاب الطفل على نحو طبيعي، شرحت أن من شأن الأمر أن يشكل مفاجأة سارة، غير أن من شأننا أن نبادر حتى إلى تبني طفل، شرط أن يتم ذلك بعد حملة عام 1996م لإعادة انتخاب الرئيس، وأنا أتابع المراسل المتفاجئ مبتعداً، أطلقت ضحكة عالية، واستعرضت الطريق الطويلة التي قطعتها منذ سنواتي المبكرة حين كنت صعبة الإرضاء.

تبقى المراهقة مرحلة صعبة، إلا أن حياة أي مراهق أو مراهقة في البيت الأبيض مضاعفة الصعوبة، تعاطفت استثنائياً مع إيلانور روزفلت التي عانت كثيراً بسبب الأمومة؛ أولادها جميعهم آلوا إلى حياة مضطربة، وإيلانور قالت

مرة إنها كثيفة الانشغال بضبط أولادها فلم يبقَ لها الوقت اللازم للتعبير عن حبها لهم. تعيّن علي أن أحذر من خطر التحول إلى أم مثلها؛ لأنني كنت أنا المسؤولة عن التربية وتلقين الانضباط فيما كان بل على الدوام الطرف الدافئ والمحِب لتشلسي، ساحراً إياها بمناقشاته الموسعة، ومعارفه الغزيرة، وقصصه الممتعة.

في لحظات كأبتي، نادمة أنا على أنه احتكر المتعة كلها تاركاً أمر الضبط والتربية لي. تعرفين قصة الأبطال والحرامية؟ أو أسطورة الشرطي الخيّر ونظيره الشرير؟ ثمة بالمقابل أب عطوف وأم قاسية أو العكس، لك أن تقدر أي الزوجين كلنتون كان الشرطي الشرير؟ صحيح أنني لم أجبر تشلسي على الخروج إلى الجليد والثلج للبحث عن غطاء عبوة معجون الأسنان، إلا أن لمّ البوشار المسكوب على أرض البيت الأبيض كان مثلاً أقل قسوة لذلك النوع من التفكير، لم أكن راغبة في أن أبدو غولة بنظر ابنتي، ما جعلني شديدة الارتياح إلى كلام كبير مساعدي بل؛ بروس لندسي الذي قال لبعض أصدقائي إنني كنت أماً دافئة ورقيقة.

كانت تشلسي مراهقة طبيعية تماماً، ما أدى إلى جعل سلوكها غير متناغم دائماً مع مزاجي، كنا؛ تشلسي وأنا، نتأهب للذهاب إلى ممارسة رياضة المشي في أحد متزهات البيت الأبيض، نزلت تشلسي درجات سلم البيت الأبيض مغطاة عمداً بمعطف طويل، وعند المغادرة طلبت رؤية ملابسها، أزاحت ذيل المعطف واكتشفت، ويا للهول!، أنها كانت ترتدي ملابس غير محتشمة، للأسف كان وقت تغيير ملابسها قد فات، وكان من شأنها بوصفها مراهقة، أن ترفض ذلك - ربما - على أي حال.

لن أنسى مشيتها المتباهية في منتصف المشى من دون معطفها وعيون وسائل الإعلام متركة عليها؛ بعض المراسلين صفقوا بصخب لدى مرورها، وماذا عن محاولة إبقائها بعيدة عن أعين الجمهور؟! اكتفت تشلسي بالتلويح

والابتسام من دون أي حرج، وبدت سعيدة وواثقة. أما أنا فلم أكن؛ رحت أتصور العناوين العريضة التي ستحدث انفجاراً: «هيلاري تسمح لتشلسي أن تمشي نصف عارية في المتزهر». لحسن الطالع لم يحصل ذلك، وحين لذت ببل شاكية من سلوك ابنته، اكتفى بإطلاق ضحكة قائلاً: «كفى تزمناً، يا موسوسة!».

لن أكرر ردي عليه.



obeykandil.com